متابعة العقل والشرع (و) قد رفع عنك التلبيس اذ (جاءك فى هذه) الانباء (الحق) الصريح الذى لايحتاج فيه الى دلالة المعجزات (وموعظة) زاجرة عن متابعة الهوى (وذكرى) لتلبيسات الشيطان حاصلة (للمؤمنين وقل للذين لايؤمنون) بتلك الانباء لعدم مبالاتهم بالحق الصريح والموعظة والذكرى (اعملوا) بما يوافق الهوى (على مكانتكم) أى تمكنكم من معرفة الحق الصريح والاخذ بالموعظة والذكرى (انا عاملون) بما يوافق العقل والشرع (و) ان زعمتم انه لاعاقبة لعمل (انتظروا) العواقب على قول من يستعمل العقل (انا منتظرون) فاقل ما يقتضيه قول العاقل الانتظار فان زعموا انه انتظار مالم يقع مثله أصلا يقال لهم (ولله غيب السموات والارض) فلعل فى بعض الادوار مايقتضى البعث من غير أن يكون له نظير وغاب عن نظر المنجمين والكهنة (و) كيف لاينتظر وهو مقتضى الرجوع اليه ولابد منه اذ (اليه يرجع الامر كله) ليميز بين من خصه بالعبادة وبين من لم يخصه (فاعبده و) ان توهمت ان عبادته لاتدفع قدره (توكل عليه و) كيف يترك المجازاة التى هى مقتضى ربوبيته ولامانع عنها سوى الغفلة ولكن (ماربك بغافل عما تعملون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

من المقصورين (قوله تعالى ساحتهم) يقال ساحة الحى ناحيتهم للرحبة التى قدام دون أخبيتهم حولها

* (سورة يوسف) *

سميت به لان معظم قصته مذكورة فيها ومعظم مافيها قصته (بسم الله) المتجلى بجميعيته فى آيات كتابه بالاخبار عمن ظهر فيهم بجميعيته مشعرا بها (الرحمن) بانزالها مناسبة لطباع الكل (الرحيم) بجعلها بلسان يتضمن من الاسرار مالا يتضمنه غيره وهو العربى (الر) أى آيات لوامع الرشد أو أجل لطائف الربوبية أو أخص لباب الرحمة أو أعلى لواء الرفعة (تلك آيات الكتاب المبين) للاخبار الغيبية التى لاتبلغها صنعة التنجيم والكهانة مع تضمنها مالاينحصر من العلوم والعبر أو للطائف المتن فى صور المحن أو للانتقال من أنواع الشدائد الى أنواع النعم أو لطريق الوصول الى أعلى مراتب الدين والدنيا وانما كانت آيات لوامع الرشد لاعجازها الدال على كونها منزلة من الله وانما كانت أجل لطائف الربوبية لانه تلطف بانزالها وانما كانت أخص لباب الرحمة لاختصاصها بالنزول من مقام العظمة الالهية وانما كانت أعلى لواء الرفعة لكونها نازلة من مقام العظمة للاصعاد اليها لذلك قال (انا أنزلناه) ومن هذا الانزال صار الكلام الواحد الذى هو صفة أزلية آيات متعددة اذ صار (قرآنا) أى مقروأ ليناسب الطباع البشرية وجعل (عربيا) ليتضمن من الاسرار مالا يتضمنه ولايحتمله غيره (لعلكم تعقلون) ماعندنا من الاسرار و بتضمنها اتصفت الآيات بكونها آيات لوامع الرشد وماعطف عليه ثم فى الكتاب اشارة الى وجوده الخطى وفى القرآن الى اللفظى وفى تعقلون الى الذهنى وفى هاء أنزلناه الى كونه من عالم الغيب فى ذاته ففيه اشارة الى وجوداته الاربعة وكرر نون العظمة ليخبر دنو الانزال بالعلو مرتين مرة باعتبار كونه صفة أزلية ومرة باعتبار ظهوره بعظمته ولما كان انزاله لتعقل ماعندنا الله والاتصاف بماذكر لاجرم (نحن) لاغيرنا

(نقص عليك) لتزداد كمالا فى الاوصاف المذكورة الرشد والتربية والرحمة والرفعة (أحسن القصص) لاشتماله على مالا يتناهى من المحاسن كالانتقال من أنواع المحن الى اصناف المنن نجاة يوسف من القتل ثم من غيابة الجب ثم من التهمة ثم من السجن ثم من العبودية ثم من فراق الاب ونجاة أبيه من غم فراقه ومن العمى ونجاة امرأة العزيز من الاثم ونجاة الساقى من القتل ونجاة بنيامين من تهمة السرقة واحسان الله الى يوسف بالملك والنبوة وسجود الابوين والاخوة وايتاء الحكم والعلم وذكر الملوك والممالك والعلماء والتجار والرجال والنساء وكيدهن وكيد الشياطين والاقارب والصبر والعفو عند القدرة والسياسة وحسن المعاشرة وتدبير المعاش والمعاد وحسن العاقبة فى العفة والجهاد وذكر المحب والمحبوب والرجوع الى السعادة وذكر التوحيد والفقه وتعبير الرؤيا وطريق السلوك وحال السالك وغير ذلك فتعلم انه انما يكون (بما أوحينا اليك) أيها المتصف بهذه الكمالات المستعد للبلوغ الى غايتها (هذا القرآن) المشتمل على آيات لوامع الرشد وما عطف عليه اذ لا يتيسر للماهرين بالعلوم المطلعين على الاخبار (وان) أى وانك (كنت من قبله لمن الغافلين) عن مثل هذه القصة (اذ قال يوسف لابيه) لاعتقاده كمال علمه وشفقته عليه بحيث لو كانت رؤياه تسوءه لامكنه صرفها عنه (يا أبت) ناداه ليقبل عليه بكمال التعطف ولم يسمه رعاية لتعظيمه (انى رأيت) فى المنام (أحد عشر كوكبا) قيل هى جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين أولات باخوته نجوم اسماء النبوة المحيطة بنبوة جملة من أولادهم (والشمس) أولات بأبيه الجامع أنوار النبوة المتفرقة فى أبنائه (والقمر) أولات بخالته المستفيدة منه النور وأخرهما تأخير الاشرف من الجنس (رأيتهم) بعد رؤيته علوهم (لى ساجدين) جمعها جمع العقلاء لفعلها فعلهم ولوصح كونها ناطقة فلا اشكال ولم أر من تعرض لهيئة السجود ولعله تحريك جانبها الاعلى الى الاسفل مستديرة ظهرت أو مستطيلة (قال) قبل التعبير تحذيرا عن ضرر نشر الرؤيا (يا بنى) صغره اصغر سنه اذ كان ابن اثنتى عشرة سنة (لا تقصص رؤياك) التى يعتدبها (على اخوتك) روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ورباون ويشجر ودان ونفتالى وجاد واشر وبنيامين اذ تزيدهم حسدا عليك (فيكيدوا) أى فيمكروا بك ما يظهرون انه نافع (لك) ولكنه يكون (كيدا) عظيما متلفا لك وهو وان لم يكن من طبائع أهل بيت النبوة لكن الشيطان يلقيها عليهم (ان الشيطان للانسان) سيما القائمين بعداوته سيما الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء (عدو مبين) عداوته وان قصد اخفاءها ثم عبر الرؤيا بقوله (وكذلك) أى وكما جعلك مسجود الكواكب والشمس والقمر يجعلك مسجود من أولات بهم اذ (يجتبيك ربك) للمناصب العالية (و) ليس بالفضل الدنيوى فقط بل (يعلمك) أيضا أشياء كثيرة (من تأويل الاحاديث) أى واقعات المنام واليقظة بطريق الولاية (ويتم نعمته) بالنبوة والرسالة (عليك) كيف (و) يتمها أيضا (على آل يعقوب) الذين يسجدون لك ولم يقل

سرد ومسراد ومنه قوله عز وجل وقدر فى السرد أى لا تجعل مسمار الدرع دقيقا فيفلق ولا غليظا فيقصم الحلق (قوله تعالى)

وآلى لئلا يستغرق فى العجب بنسبتهم الى نفسه بل سماه كأنه أجنبى ولا يبعد ذلك فان الولد سر أبيه فيتمها عليك (كما أتمها) على بل (على أبويك من قبل) أى قبل أبيك فهى سنة فى هذا البيت (ابراهيم) منبع هذا الكمال (واسحق) حامل سره ثم سرى الى المستعدين له من أولادهم (ان ربك عليم) بالاستعدادات (حكيم) يعطى كل مستعد ما يستعدله ومن فوائد هذا المقام استحباب كتمان السر وجواز التحذير عن شخص بغيبة ومدح الشخص فى وجهه اذا لم يضره واعتبار السبب وان لم يؤثر وان الكل حادث تأويلا عند الاولياء وانه يعبر الرؤيا من الصغار وان كان من عالم الخيال اذ تصور الخيال معانى معقولة بصور محسوسة فترسلها الى الحس المشترك فيشاهدها والصادقة منها ما تكون باتصال النفس عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فيتصور بما فيها مما يناسب المعانى فان كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير والا احتاجت اليه فالاخبار عن هذه الرؤيا آية وعما ترتب عليها آيات (لقد كان فى يوسف واخوته آيات) من الاخبار الغيبية (للسائلين) عنها سيما اذا بينت بآيات القرآن المعجزة فى أنفسها وعما ترتب على هذه الرؤيا مزيد محبة أبيه اياه الموجبة مزيد حسد الاخوة (اذ قالوا ليوسف) بذاته (وأخوه) من الابوين بنيامين بتبعيته (أحب الى أبينا منا) مع انه لا ينتفع بمحبتهما لضعفهما (ونحن عصبة) أى جماعة يتقوى بهم ويستعان بهم فى الشدائد فلو أحبنا لكان له أنفع (ان أبانا) وان كان ظاهر الرشد فى أبواب الدين (لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر فى هذه المحبة ولا يقدح هذا فى عصمتهم بالحقيقة لانهم كانوا طالبين مزيد محبة الانبياء عليهم السلام الموجبة مزيد محبة الله اياهم وكذا حسدهم كان سبب وصول المحسود الى كمالاته فلم يكن حسدا بالحقيقة لكنهم لم يعصموا فى الظاهر قبل النبوة (اقتلوا يوسف) ليذهب محل مزيد محبته بالكلية فيرجع اليهم محبته بالكلية (أو اطرحوه أرضا) مجهولة لا يعرفها الاب ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الوصول اليه فيذهب محل مزيد محبته عن المحب فيرجع اليهم ففى كل حال (يخل لكم وجه أبيكم) أى توجهه بالمحبة وغيرها (وتكونوا من بعده) بكمال توجه أبيكم اليكم (قوما صالحين) يكون صلاحكم فداء عن معصية قتله أو طرحه مع رضا الوارث وعفوه (قال قائل منهم) صريحا ورضى به الباقون ولذلك لم ينسبه الى معين وهو يهوذا أو روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل من الكبائر التى يخاف معها سد باب الصلاح (و) افعلوا معه ما هو أشد من الطرح (ألقوه فى غيابت الجب) أى فى ظلمة البئر العميق فان يعش (يلتقطه بعض السيارة) أى بعض من يمر به فيتملكه فلا يمكنه الرجوع الى الاب فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب كبيرة يخاف معها سد باب الصلاح (ان كنتم فاعلين) مع ان الاولى ان لا تفعلوا هذا القدر أيضا ولما غلب عليهم الحسد المفضى للتفريق الكلى ولا يمكن قبل نزعه عن يديه ولم يمكن مع عدم ائتمانه اياهم مكروا به اذ (قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب ليميل اليهم فيجيبهم فيعمى عن عيوبهم (مالك) أى أى حال حصل لك مما رأيت منا حتى صرت (لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) أى مستمرون على محبته والقيام بمصالحه

سواء الجحيم) أى وسط الجحيم (قوله عز وجل فساهم فكان من المدحضين) أى قارع فكان من المقروعين أى

والعطف عليه بمقتضى الاخوة بلا مانع من ذنبه لصغره ثم ان الزامك اياه أن يكون بمكانك موجب للاله القاطع انشاطه على العبادة واكتساب الكمالات (أرسله) الى الصحراء (معنا) لاوحده (غدا) ان لم ترسله كل يوم (يرتع) أى يتسع فى الاكل ليزداد قوة على العبادة (ويلعب) ليزداد نشاطا عليها (و) لاخوف عليه من أحد اذا كان معنا (انا له لحافظون) أى مجتهدون فى الحفظ (قال) انما لا أرسله لانى لا أطيق الصبر عنه (انى ليحزننى أن تذهبوا به) أى ذهابكم به (و) انى لو أمنتكم عليه (أخاف أن يأكله الذئب) فان الارض كثيرة الذئاب (وأنتم) وان زعمتم انكم له حافظون فحفظكم انما يكون مادمتم ناظرين اليه لكن لا يخلو الانسان عن الغفلة فاخاف أن يأكله اذا أنتم (عنه غافلون قالوا) والله (لئن أكله الذئب) حال غفلتنا فلابد أن يعلم ذلك حين يصيح (ونحن عصبة) أى جماعة أقوياء يمكننا أن ننزعه من يد الذئب فان لم نقدر على نزعه (انا اذا لخاسرون) ما اكتسبنا من القوة ولم يمكننا حفظ مواشينا عن الذئاب فأرسله يعقوب بعد قوله فيكيدوا لك كيدا اغترارا بمكرهم (فلما ذهبوا به) الى مكان بعيد عنه أظهروا من العداوة ما لا يمكن التصريح به كلما ضربه واحد استغاث باخر فمضر به المستغاث به ثم انهم هموا بقتله فمنعهم يهوذا وقال ألستم أعطيتمونى موثقا من الله أن لا تقتلوه فتركوا (وأجمعوا) أى اتفقوا على (أن يجعلوه فى غيابت الجب) فأخذوا يوسف وجعلوا يدلونه فيه فيتعلق بشفير البئر فاخذوه فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أستر به عورتى ويكن كفنى عند موتى وأطلقوا يدى أطرد بهما هوام الجب عنى قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب يلبسوك الثوب ويؤنسوك فلما ألقى فى الجب أتاه ملك فحل وثاقه وأخذ تعويذا من عنقه فيه قميص جاء به جبريل لابراهيم حين ألقى فى النار عاريا فكان عنده فورثه اسحق ثم يعقوب فجعله فى عنق يوسف فكساه الملك اياه وصار يؤنسه (وأوحينا اليه) قبل النبوة كريم وأم موسى تسلية له وتقوية لقلبه (لتنبئنهم بأمرهم هذا) حال استيلائك عليهم فهذا منة منهم عليك فى صورة محنة (وهم لا يشعرون) ان فعلهم هذا يؤديهم الى محذورهم ولولاه لم يكن ليصل اليه (وجاؤا أباهم) ليمكر وا به بطريق الاعتذار الموهم موته القاطع عنه متمناه لتنقطع محبته عنه ولو بعد حين فيرجع اليهم بالحب الكلى (عشاء) لكونه وقت الظلمة المانعة من احتشامه فى الاعتذار الكذب ومن تفرسه من وجوههم الكذب (يبكون) ليوهم تقجعهم عليه افراط محبتهم له المانعة من الجراءة عليه (قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب المضاف اليهم ليرحمهم فيترك غضبه عليهم الداعى الى تكذيبهم (انا) وان كنا عصبة وقصدنا ان لا نغفل عنه وقع لنا اتفاقا اذ (ذهبنا نستبق) أى تسابق فى العدو فبعدنا عنه (وتركنا يوسف عند متاعنا) اذ لم نجد سواه معتمدا عليه فانتهز الذئب الفرصة (فأكله الذئب و) أنت وان أمنتنا عليه أولا (ما أنت بمؤمن) أى مصدق (لنا) فى هذه القصة لكراهتك اياها فلا يزال قلبك يدفعها (ولو كنا صادقين) من الماضى الى الان لم يظهر من أحدنا كذب فى شئ قط (وجاؤا) لطلب تصديقه الذى رأوه كالمحال جاعلين (على

ولسن والسلق والصلق رفع الصوت (قوله عزوجل سابغات) هى دروع واسعة طوال (قوله تعالى السرد) نسج حلق الدروع

قميصه) دم جدى ذبحوه فأتوا به ملطخا (بدم كذب) أى بدم لو نطق عرف كذبه حتى يقال انه نفس الكذب اذ لم يمزقوه (قال) يعقوب ما أحلم هذا الذئب أكل ولدى ولم يمزق قميصه فلم يقع ما ذكرتم (بل سولت) أى زينت (لكم أنفسكم) من خبثها (أمرا) من تغييب يوسف وتفريقه عنى والاعتذار الكاذب (فصبر) على أفعالكم (جميل والله المستعان على) دفع (ما تصفون) عن الذئب ان يقع وعن القلوب كيلا يؤذيها ويجزعها وفيه من الفوائد ان الجاه يدعو الى الحسد كالمال وهو يمنع من المحبة الاصلية من القرابة ونحوها بل يجعل عداوتهم أشد من عداوة الاجانب وان الحسد يدعو الى المكر بالمحسود وبمن يراعيه وانه انما يكون برؤية الماكر نفسه أكمل عقلا من الممكور وان الحاسد اذا ادعى النصح والحفظ والمحبة بل أظهره فعلا لم يعتمد عليه وكذا من أظهر الامانة قولا وفعلا يشعل الخيانة وان الاذلال والاعزاز بيد الله لا الخلق وان من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه وان المحبة وان قلت تحمى المحبوب من اهلاكه واستئصاله وان من وثق بمخلوق ضاع وان الخوف من الخلق يورث البلاء وان الانسان وان كان نبيا يخلق أولا على طبع البشرية وان اتباع الشهوات كاللعب يورث الحزن الطويل وان المقدر كائن وان الحذر لا يغنى من القدر قيل للهدهد كيف ترى الماء تحت الارض ولا ترى الشبكة فوقها قال اذا جاء القضاء عمى البصر (و) من أثر استعانة يعقوب لدفع هلاكه فى نفسه وانتهائه الى دفع حزن قلبه (جاءت) مكان الجب بعد القاء يوسف فيه بثلاثة أيام (سيارة) أى رفقة تسير من مدين الى مصر (فأرسلوا) الى البئر (واردهم) وهو الذى يرد الماء ليستقى وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فأدلى) أى أرسل فى الجب (دلوه) فتعلق به يوسف فلما رفع الدلو ورآه متعلقا به (قال يا بشرى) نادى البشرى مضافة اليه ليقبل اليه ولا ينصرف عنه (هذا) وان كان مشارا اليه بالحس (غلام) لا يعرف كنه محاسنه (وأسروه) أى أخفوا كونه لقيطا من البئر بكونه (بضاعة) لاهل الماء الى مصر وهى ما يبضع من المال للتجارة لئلا يطالبه سائر الرفقة بالشركة (والله عليم بما يعملون) أى اخوة يوسف مما يطل بشراهم اذ قالوا لهم انه عبد آبق لنا منذ ثلاثة أيام واختفى بالجب وبالغوا فى ذمه والامر بتقييده وحفظه مخافة انقلابه الى أبيهم وهو ساكت مخافة أن ينتزعوه من يده ويقتلوه (و) هونوه عليهم حتى (شروه بثمن بخس) ناقص العيار (دراهم) لا دنانير (معدودة) يعرف عددها بمجرد رؤيتها عشرين أو أربعين وكان مقتضى جماله أن يزيد على عدد العادين (وكانوا) أى كل من الفريقين (فيه) أى فى حق يوسف (من الزاهدين) أما المشترون فلذم البائعين وأما البائعون فلكراهتهم أن لا يشتروه لغلاء ثمنه فيحتاجوا الى قتله ومن الفوائد ان الفرج قد يحصل من حيث لا يحتسب وانه ينتظر للشدة وان من خرج لطلب شئ قد يجد ما لم يكن فى خاطره وان الشئ الخطير قد يعرض فيه ما يهونه وان البشرى قد يعقبها الحزن والعزة قد يعقبها الذلة وبالعكس ثم أشار الى أن الذلة العارضية انما تستر العزة الذاتية عند أهل الذلة وأما أهل العزة فلا يبالون للذلة العارضية فقال (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز

(قوله عز وجل سواء الصراط) أى قصد الطريق
(قوله عز وجل سالما لرجل) أى خالصا لرجل

الذى كان على خزائن ملك مصر الوليد بن الريان واسمه قطفير أو اطفير مع اقتضاء الشراء الذلة وان كان ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل ولم يذكره فى القرآن لانه على وفق القياس (لامرأته) راعيل بنت رعابيل أو زليخا بنت يملخ لكونها أكمل فى التربية والحضانة (اكرمى مثواه) أى منزلته مبالغة فى اكرامه واعتمد عليه فى مساكنة امرأته لما تفرس من رشده وأمانته وعلل اكرامه بأنه يرجى نفعه (عسى أن ينفعنا) فى الاستشارة والقيام بالمصالح (أو) عسى أن (نتخذه ولدا) نفوض اليه جميع أمورنا لقيامه مقامنا فى الحياة وبعد الممات (و) ذلك لقد مكنا اياه فى قلبه دعاه الى تمكينه فى بيته ولم نقتصر عليه بل (كذلك مكنا) التصرفات (ليوسف فى الارض) أى جميع أرض مصر ليعرف الاشياء بالممارسة وليتمكن من تركيب الصور والمعانى وتحليلها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) بالانتقال من الصور المحسوسة أو المتخيلة الى المعانى القائمة بصور الاخر (و) هم وان بالغوا فى تضعيفه واذلاله وتجهيله بتفويضه الى المرأة لم يمكنهم ابطال عناية الله اذ (الله غالب على أمره) يغلب الاسباب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) غلبته على الاسباب (و) لذلك لم يؤده تربية المرأة الى الجهل والميل الى الشهوات بل (لما بلغ أشده) أى منتهى قوته بالشباب الذى تغلب فيه الشهوات الحاجبة عن الله وأحكامه وعن العالم العقلى (آتيناه حكما) أى اطلاعا على الاحكام الشرعية (وعلما) بالحقائق الالهية والكونية من غير معلم بشرى لتوجهه الينا (و) لا يختص ذلك به بل (كذلك نجزى المحسنين و) لا يتأتى اياه الحكم والعلم دفع مراودة امرأة العزيز حال بلوغه منتهى الشباب فانه (راودته) أى طلبت تحويله الى مرادها اذ لا صبر لها عنه لانها (التى هو) مستقر مدة سنين (فى بيتها عن) مراد (نفسه و) رفعت عنه الموانع اذ (غلقت الابواب) السبعة (و) لم تقتصر على المراودة الفعلية بل (قالت) مع ذلك (هيت) أى هلم الى فأنا نافعة (لك) أفيض عليك الاموال وأحببك الى زوجى وأزيدك تقربا اليه (قال) لا يتأتى اياه الحكم والعلم (معاذ الله) أى أعوذ به معاذ الكونه زنا وخيانة فيما ائتمنت عليه وضرا لمن توقع النفع واساءة الى المحسن (انه ربى أحسن مثواى) وكفى بالاساءة اليه ظلما لو تجردت فكيف اذا اجتمعت مع هذه أمور (انه لا يفلح الظالمون) سيما الجامعين وجوه الظلم (و) لم تبال باستعاذته بل والله (لقد همت به) أى قصدت اكراهه للمباشرة به (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أى ولولا انه رأى الدلائل الكشفية والعقلية والنقلية على ضرر الزنا والخيانة فى محل الامانة والضرر فى محل النفع والاساءة الى المحسن لقصد اكراهها على الزنا لو امتنعت عليه وكما أريناه البرهان فى ذلك (كذلك) أريناه فى كل مكروه ومحرم (لنصرف عنه السوء) أى المكروه (والفحشاء) اى المحرم (انه من عبادنا المخلصين) الذين ليس للشيطان عليهم سلطان يغلبهم حتى يلقيهم فى المكاره والمحرمات (و) لما رأى يوسف همها بالاكراه بعد رؤية البرهان قام هاربا الى الباب وتبعته حتى (استبقا الباب) فسبق يوسف فادركته فتعلقت

لا يشركه فيه أحد غيره يقال سلم الشئ لفلان اذا خلص له ويقرأ سلما وسلما رجل وهما مصدران وصف بهما أى سلم اليه فهو سلم

بقميصه فجذبته (وقدت) اى شقت (قميصه من دبر) اى من ظهره فظنها يوسف فخرج وخرجت خلفه (وألفيا) اى وجدا (سيدها) اى زوجها الذى يغار عليها غيرة السيد على جاريته التى هى أحب اليه من زوجته ولا يستر عليها ستره على الحرة ولم يقل سيده ولا سيدهما لانه لا يغار عليه غيرة عظيمة بفعله من حيث هو بل من حيث فعله باهله (لدى الباب) لم يقل لديه اشارة لتوهم عود الضمير الى يوسف ولما رأته سابقت يوسف بالقول (قالت ما) اى أى شئ (جزاء من أراد بأهلك سوأ) اى أن يفعل به فعلا قبيحا ثم خافت أن يقتله مع أنها تحبه فتكره قتله فقالت (الا أن يسجن) ثم لما استشعرت أن ذلك يشير الى حبها له سترته بقولها (أو عذاب أليم) بضرب السياط (قال) يوسف لم أفعل بها ما أستحق به أحد الامرين بل (هى راودتنى) اى أرادت تحويلى الى مرادها (عن) مراد (نفسى) ففررت منها قاصدا بذلك دفع التهمة عن نفسه (وشهد) لدفعها (شاهد) لم يعرف مثله شاهد اذ كان رضيعا ولو كان كبير القبل ايضا لكونه (من أهلها) ابن عمها أو خالها سيما وقد شهد بطريق الاستدلال فقال (ان كان قميصه قد من قبل) دل على انه قصدها فدفعته فوقعت يدها فى قميصه (فصدقت) فى هذه القضية (وهو من الكاذبين) فى جميع القضايا لانه لما كذب على سيدته فهو فى سائر الامور أكذب (وان كان قميصه قد من دبر) دل على انه كان هاربا فادركته فجذبت (فكذبت) فى هذه القضية (وهو من الصادقين) فى جميع القضايا لانه انما دفع مثلها لقوة صدقه فلا دخل للتهمة عليه أصلا (فلما رأى) سيدها (قميصه قد من دبر قال انه) اى ان هذا القول بعد الخيانة (من كيدكن) اى من مكر النساء على الرجال (ان كيدكن عظيم) لا يقدر عليه الرجال ولا الشياطين اذ قيل فيهم ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم قال يا (يوسف) نادى باسمه اذ لم يكرهه (أعرض عن هذا) الحديث كى لا يشيع ولا تهتم له فقد بان عذرك (و) لم ينادها باسمها لكراهته لها بل قال لها (استغفرى لذنبك) اذ خنت زوجك ورميت البرىء ومكرت المكر العظيم (انك كنت) قبل اكتساب هذه الامور (من الخاطئين) حتى اجترأت على هذه الكبائر (و) مع مبالغة العزيز فى منع اشاعة هذه القصة شاعت حتى (قال نسوة) مع تفرقهن (فى المدينة امرأت العزيز) مع اقتضاء عزتها التنزه (تراود فتاها) اى عبدها الشاب (عن نفسه) مع اقتضاء ذلته من عبوديته التذلل لها وهو لا يتذلل وانما انعكس الامر لانه (قد شغفها) اى ملا شغاف قلبها وهو الجلدة المحيطة بالقلب (حبا) كانه ليس تحت تلك الجلدة قلب (انا لنراها فى ضلال مبين) اى حيرة ظاهرة لا تستحى من الله ولا من الناس ولا تخافهم ولا زوجها وقد قصدت بذلك أن تريهن اياه اعتذارا فكان ذلك منهن مكرا (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن) جوار بها طالبة لهن الى بيتها لتعتذر اليهن (واعتدت) اى هيأت (لهن متكأ) اى طعاما يتكأ فيه لكونه من الفواكه (وآتت كل واحدة منهن سكينا) لقطع الفواكه

وسلم لا يعترض عليه أحد وهذا مثل ضربه الله عز وجل لاهل التوحيد ومثل الذى عبد الآلهة مثل صاحب الشركاء

(وقالت)

(وقالت) فى أثناء قطعهن لها (اخرج عليهن) ليذهلن برؤيته عن أنفسهن (فلما رأينه أكبرنه) اى وجدنه كبيرا فى باب الجمال بحيث يفيد الذهول عما سواه (و) صرن أعظم ضلالا منها اذ (قطعن أيديهن) برؤيته مرة واحدة (وقلن حاش لله) اى التنزيه له من أن يشاركه فى كمالاته أو الاستثناء له فى نفى الحسن عما سوى يوسف لكن (ماهذا بشرا ان) اى ليس (هذا الاملك كريم) ظهر بهذا الكمال من الجمال (قالت) امرأة العزيز ان كانت رؤيته مرة واحدة موجبة لقطع الايدى (فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فى مراودته بعد ما كنتى اياه سنين ثم صرحت بسرها هاتكة ستر الحياء فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) اى فتحفظ ثم هددته بقولها (و) الله (لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و) لأقتصرن عليه بل (ليكونا من الصاغرين) وهو أشد من الضرب بالسياط وان كان الامين يستحق الاطلاق من السجن والاعزاز قيل قد عنته النسوة الى مطاوعة سيدته ظاهرا والى أنفسهن باطنا حتى تحير مزيد تحير ولما علم يوسف أنه لا يلحقه الصغار لما اصطفاه الله لكن لا مانع من السجن (قال رب السجن) وان كان هذا بالحال (أحب الى) لاستعقابه راحة فى المآل استعقاب الدواء الكريه للشفاء (مما يدعونني اليه) من اللذة المستعقبة للعذاب كالطعام اللذيذ المسموم ولما خاف الوقوع فيه من اغوائهن دعا الله سبحانه للتحفظ عنه بقوله (والا) اى وان لم (تصرف عنى كيدهن) وقد عجزت عن دفعه وان قدرت على دفع كيد الشيطان اذ ليس له على سلطان (أصب اليهن) اى أمل بالقلب الى ما يدعونني اليه فانه أقل ما فيه (و) هو وان كان معفوا عنه قبل الفعل (أكن من الجاهلين) بالميل الى ترجيح الهوى على العقل والشرع فيرفع ما آتيتنى من الحكم والعلم (فاستجاب له ربه) فيما دعا اليه من صرف الكيد عنه (فصرف عنه كيدهن) وان لم يدفع عنه السجن اذ لم يدع فى دفعه لتعلقه بظاهره (انه هو السميع) لدعائه (العليم) بما فى صرف الكيد من تكميله وبما فى ادخاله السجن من مصالحه (ثم) اى بعد أن لم يدع يوسف ربه فى صرف السجن عنه (بدا) اى ظهر رأى (لهم) للعزيز وأهله من قولها ان هذا العبد الكنعانى فضحنى عند الناس بخبرهم انى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى أن اخرج فاعتذر اليهم أو ان تحبسه فخزموا (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف من رؤيته هاربا وقد قيصه من دبر وشهادة الصبى وقطع النساء ايديهن (ليسجننه حتى حين) اى الى وقت انقطاع التهمة وكان سجنه سبب وصوله الى الملك الريان بن الوليد كالقائه فى الجب سبب وصوله الى مصر (و) ذلك لانه (دخل معه السجن) اى فى زمان كونه فى السجن (فتيان) اى غلامان للملك صاحبا شرابه وطعامه ضمن لهما بعض أشراف مصر مالا على أن يجعلا السم فى شرابه وطعامه فاجابا الى ذلك ثم ندم الساقى وسم الخباز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل فانه مسموم فقال الخباز لا تشرب فانه مسموم فقال للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فأطعم دابة فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام ينشر العلم لاهل

التثاكسين أى المختلفين العسرين وقال هل يستويان مثلا (قوله تعالى سؤل لهم) أى زين لهم (قوله جل وعز سكرة الموت) أى

السجن ويقول أعبر الاحلام فقال أحدهما للآخر هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فترأيا له الرؤيا (قال أحدهما) وهو الساقي (اني أراني) في المنام على حكاية الحال الماضية كأني (أعصر خمرا) اي عنبا اسمي باسم مايؤل اليه في كاس الملك ليشربه (وقال الآخر) وهو الخباز (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا) اي أخبرنا (بتأويله) اي بمايؤل اليه ماراه كل واحد منا احسانا منك علينا (انا نراك من المحسنين) بافاضة العلوم وحسن المعاشرة والوعظ والعبادة فذكر أولا دلائل النبوة والتوحيد لما علم ان أحدهما سيصلب فأراد تخليصه من النار وذكر أولا دلائل نبوته ليكون قوله حجة في التوحيد مع مايذكر من دلائله لذلك (قال لا يأتيكما) في المستقبل (طعام ترزقانه) فيؤثر فيكم تأثيرا (الا نبأتكما بتأويله) اي بمايؤل اليه من نفعه وضره فضلا عن نوعه وصنفه وقدره (قبل أن يأتيكما) بمدة لايمكن بيانه فيها للمنجم والكاهن فتعلما ان (ذلكما) البعيد عن صنعهما (مما علمني ربي) لا بواسطة شيطان فانه انما يتعلم بواسطته من لايؤمن بالله واليوم الآخر (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) فيتخذون الشيطان الها فيظهر عليهم باخبار الغيب (وهم بالآخرة هم كافرون) فلا يميزون بين الخير والشر الاخرويين فيصغون الى الشيطان مايقول لهم مما يجرهم الى الشر الاخروي (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) المشهورين بالكشف الكامل بلا واسطة شيطان لاختصاص فيضه بالمشرك ولكن (ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ) وان ظهرت منه الخوارق من اخبار الغيب وغيره (ذلك) اي الاخبار بالغيب بدون اشراك الشيطان (من فضل الله علينا) بالنبوة (وعلى الناس) بالاهتداء لما يحبه الله ويكرهه (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) هذه النعمة فيتبعون مايلقي الشيطان على أوليائه مما يضلهم عن الله واليوم الآخر (ياصاحبي السجن) اخرجوا عن سجن التقليد في الشرك مع ظهور كون التوحيد فضلا (أأرباب متفرقون) بحيث لايتم لواحد منهم الغلبة والقهر (خير أم الله الواحد القهار) الذي يتم له الغلبة في كل ما أراد ثم أشار الى غاية قصور أربابهم فقال (ماتعبدون) مع علمكم بكونهم (من دونه الا أسماء) اي مسميات أسماء ليس فيها معانيها اللغوية وان كنتم (سميتموها أنتم وآباؤكم) بها فتلك التسمية ليست دليلا تحقق معانيها فيها اذ (ما أنزل الله بها من سلطان) اي دليل عقلي أو نقلي او كشفي ولم يفوض أمر العبادة الى رايكم بل (ان الحكم) أي ليس الحكم باستحقاق العبادة (الا لله) ولم يحكم بعبادة غيره بل (أمر ألا تعبدوا الا اياه) لان العبادة غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية العظمة ولو حصلت الخوارق لبعض عبدة الاصنام فليس دينهم مستقيما يوصل الى الله بل (ذلك) التوحيد الدال على كمال عظمة الله بحيث لايشاركه فيها غيره هو (الدين القيم) أي المستقيم الثابت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) به فيرى كل من ظهر بخارق مستقيما ثم رجع الى التعبير فقال (ياصاحبي السجن) فيه اشعار بأنكما لو لم

اختلاط العقل لشدة الموت
(قوله تعالى للسائل والمحروم) فالسائل الذي يسأل الناس والمحروم المحارف وهما

تسلما صرتما الى السجن الاخروى وان أسلتما خلصتما منه ومن السجن الدنيوى (أما أحدكما) وهو الساقى (فيسقى ربه خمرا) كما رآه من غير تأويل (وأما الآخر) فبعض رؤياه يحتاج الى التأويل فانخبز ما فى رأسه ولا تسلط الطيور عليه الا بعد القتل والصلب فتترك الطير بحالها ويؤول الباقى (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) ثم قالا لم نر ياشيأ فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) بما جرى على لسان الانبياء وافق استفتاؤكم الواقع ام لا ثم أشار الى أن هذا وان كان سبب وصوله الى الملك لكنه لما اعتبر مجرد السبب بدون النظر الى المسبب كان سبب غيرة الحق عليه وهى وان لم تبطل السببية أخرت تأثيره (و) ذلك لانه (قال للذى ظن) أى علم بطريق تعبير الرؤيا الذى أصله ايجاب الظن (أنه ناج) من القتل والبعد من الملك (منهما) أى من صاحبى السجن وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) أى سيدك بأنى محبوس ظلما وانى أعلم تعبير الرؤيا واخبر عن الغيب بلا كهانة وتنجيم وانى داع الى التوحيد ومقيم للدين القيم التفت اليه والى اعانته والى الملك وتخليصه من السجن (فأنساه الشيطان) وان لم يكن له عليه سلطان لكن جعل له دخل بما التفت اليه (ذكر ربه) ان يستعين به بذاته أو باعتبار ظهوره فى الاسباب فغار عليه ربه فأنسى الساقى ان يذكره عند ربه الا بعد مدة وأنسى العزيز ان يخرجه من السجن بعد مضى زمن التهمة (فلبث فى السجن بضع سنين) ما بين الثلاث الى السبع أو التسع أو العشر والاكثر ان المراد السبع مع خمس مضت ولم ينص على عدد لان الابهام أشد فى ايهام الطول (و) لما تمت المدة ظهر أثر السبب بضميمة سبب آخر وهو رؤيا الملك حيث (قال الملك) الريان بن الوليد (انى أرى) فى المنام (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) فجمع السحرة والكهنة وقال لهم (يا أيها الملأ) أى الاشراف (أفتونى) أى أجيبونى (فى) تعبير (رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون) أى ان صدقتم فى دعوى العلم بكيفية العبور من الصور المتخيلة للمعانى المكشوفة الى الصور الحسية لها (قالوا) امثال هذه الرؤيا (أضغاث أحلام) أى منامات خلط فيها الخيال الصور فلا يدرك المعنى المكشوف منها (و) نحن وان كنا علماء التأويل (ما نحن بتأويل) جميع (الاحلام بعالمين) وانما نعلم تأويل الاحلام الصادقة وهذا تعجيز من الله لهم ليراجع يوسف فيكون سبب خلاصه وارتفاع حاله (و) ذلك انه (قال) الساقى (الذى) نجا (نجا منهما) أى من صاحبى السجن وكان حقه ان يسعى فى تخليصه يوم نجا نه ولكن أنساه الله (وادكر بعد أمة) أى جماعة من السنين (أنا أنبئكم بتأويله) أى أخبركم بعالم تأويله وان لم يعلم هؤلاء تعبيره ولا من يعلمه وكذلك لا تعلمونه لو وصفته لكم لرثاثة حاله من بقائه فى السجن هذه المدة (فأرسلون) الى مكانه لاريكم اياه فجاءه فقال يا (يوسف) فناداه باسمه العلم ليزداد تميزا ولما كانت حاله مع ذلك توجب نكارته قال (أيها الصديق) فميزه بوصف الصديقية

واحد لان المحروم الذى قد حرم الرزق فلا يأتى له والمحارف الذى قد حارفه الكسب أى انصرف عنه

اصدق أقواله وأفعاله سواء صدق سؤال السائل أم لا ونبه ان فضله بالصديقية لا يضمحل برثاثة حاله حتى ينتكر وراعى الرسول عبارة المرسل فقال (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى) أورد لفظ الترجى لاحتمال الموت فى الوسط (أرجع الى الناس) بالرجوع الى الملك (لعلهم يعلمون) تأويل هذه الرؤيا فيدبرون الامر بمقتضاها وان قدرك فوق قدر الكهنة والمنجمين فجعل يوسف عليه السلام البقرات السمان حيوانات سنى الخصب والعجاف حيوانات سنى الجدب والسنابل زراعاتهما ذلك (قال تزرعون سبع سنين دأبا) على عادة مستمرة فى الخصب ثم علمهم التدبير فى اثناء التعبير بقوله (فما حصدتم) مبقين له (فذروه) أى اتركوه (فى سنبله) لئلا يقع فيه السوس (الا قليلا مما تأكلون) فأخرجوه من سنبله (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد) يشتد فيها القحط بحيث (يأكلن) أى يأكل أهلها (ما قدمتم لهن) حفظه فى السنابل (الا قليلا مما تحصنون) أى تحرزونه للبذر فهذا تأويل رؤياه مع الاشارة الى التدبير (ثم يأتى من بعد ذلك) أى بعد عام سنى القحط (عام فيه يغاث الناس) بكثرة الغيث بتحصيل الطعام (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم تحصيلا للادام وقبل ذلك كان بحيث لو حصل الطعام لم يحصل الادام (و) لما رجع الساقى الى الملك بالتعبير (قال الملك ائتونى به) فارسلوا اليه من يطلبه (فلما جاءه الرسول قال) لا ينبغى ان يرانى الملك قبل براءتى (ارجع الى ربك) الذى حققه ان يرانى بعين الكمال ليرينى (فاسئله) هل عرف (ما بال) أى ما وقع فى قلوب (النسوة اللاتى قطعن أيديهن) فدعاهن مزيد شغفهن الى مزيد الكيد (ان ربى بكيدهن) الذى هو أشد من كيد الشيطان (عليم) فلما رجع الرسول الى الملك قرر له ذلك فدعاهن وسألهن (قال ما خطبكن) أى شأنكن فى معرفة حال يوسف (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل مال الى سيدته أو الى أحداكن (قلن حاش لله) أى الاستثناء له من ان يكون لغير يوسف طهارته أو التنزيه لله عن ان يعجز عن خلق مثل هذا الكامل فى الطهارة (ما علمنا عليه من سوء) أى خيانة بعد المبالغة فى مراودته عن نفسه (قالت امرأت العزيز) على خلاف مقتضى عزتها (الآن) أى حين شهادتهن عند الملك (حصحص الحق) أى ظهر ظهورا تاما بحيث لا وجه للانكار معه (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) أى مستمر على الصدق فى قوله هى راودتنى قال يوسف (ذلك) الهتك منى لها عند الملك (ليعلم) الملك (أنى لم أخنه) أى سيدى فى أهله (بالغيب) أى فى غيبته بل بقيت فى غيبته كما أكون فى شهادته (و) يعلم (أن الله لا يهدى كيد الخائنين) ليفيدهم النجاة عن التضائح وان بالغوا فى دفعها بأنواع الكيد فالتهمة باقية عليهم بخلاف الامناء فان تهمتهم مرفوعة لا محالة (وما أبرئ نفسى) من خواطر السوء وان لم أقصد امضاءها (ان النفس) ولو من نبى أو ولى (لامارة بالسوء) فى كل

(قوله عز وجل السقف المرفوع يعنى السماء) (قوله تعالى ذكره سامدون) لاهون والسامد على

وقت (الا) وقت (مارحم ربى) فانها تصير حينئذ مطمئنة لان الله يستر عليها طبعها بما يرحمها من افاضة نور الطمأنينة عليها (ان ربى غفور رحيم وقال الملك) عند ما تحققت عنده براءته من السوء وفضله فى تعبير الرؤيا على من عنده (ائتونى به أستخلصه لنفسى) أى اجعله خالصا لنفسى ليس فيه حق الغير وان كان قبله عبد الوزير وهو فى حكم عبد الامير فأتى به وكلمه الملك (فلما كلمه) الملك علم استحقاقه لأعلى المناصب وقد علم أمانته من قبل (قال انك اليوم) وان لم أعرفك قبله (لدينا) أى فى مكان القرب منا (مكين) أى متمكن لانك (أمين) لا نخاف منك الخيانة فى الاهل والمال والجهل والتقصير ولما علم اعتماد الملك عليه ورأى فى عماله الخيانة والجهل (قال اجعلنى على خزائن الارض) أى جميع خزائن أرض مصر وكانت له خزائن كثيرة (انى حفيظ) لها (عليم) بوجوه التصرف فيها فسلمها ليوسف وجعل أمره نافذا فى جميع مملكته وعزل قطفير فهلك بعد ليال وزوجه امرأته فولدت له أفرايم وميشا (وكذلك) كما مكنا ليوسف فى خزائن الملك (مكنا ليوسف فى الارض) أى فى املاك سائر الناس حتى انه (يتبوأ منها حيث يشاء) من غير كراهة لاهلها عليه لاتفاقهم على محبته وايثارهم اياه على أنفسهم وذلك من رحمة الله (نصيب برحمتنا من نشاء) وذلك لاحسانه اليهم فهذه المحبة من أجر الاحسان (ولا نضيع أجر المحسنين) وليس هذا تمام الاجر بل هو أجر دنيوى (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) فاحسنوا طلبا لاجره (وكانوا يتقون) ان يطلبوا بعملهم أجر الدنيا والانبياء أولى بذلك (و) لغاية احسانه أحسن الى من أساء اليه فانه (جاء) فى سنى القحط لعموم قرى مصر والشام (اخوة يوسف) الذين أساؤا اليه (فدخلوا عليه) اذا حوجهم الله اليه فأمكنه منهم (فعرفهم) فى الحال وان تغيرت الهيئة لقوة الفراسة ولم يعرفهم انهم اخوته لئلا يخافوه (وهم) مع تكرر دخولهم عليه ومكالمتهم معه (له منكرون) أى مستمرون على عدم معرفته لتغير الهيئة وتزيه بزى الملوك فلم يخافوه وكيف وقد جرى معهم مجرى من أحسن اليه فأحسن نزلهم وأعطى كل واحد منهم حمل بعير من طعام (ولما جهزهم) أى سيرهم (بجهازهم) أى بعدة سفرهم من غير نقص فيهم وان قال لهم لعلكم جئتم تنظرون عورة بلدى قالوا ما نحن بجواسيس انما نحن بنو أب واحد شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبى من الانبياء قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أحدنا الى البرية فهلك قال فأين الآخر قالوا هو عند أبينا لانه أخو من هلك يتسلى به عن أخيه الذى كان أحب اليه منا قال فمن يعلم بذلك قالوا انا بلاد غربة (قال ائتونى بأخ لكم) بالغ فى تنكيره ايماء الى انهم كالمنكرين لاخوته لكونه (من أبيكم) فيسهل عليكم الاتيان به فان قررت مثل ما قررتم صدقتكم وأعطيتكم مرة أخرى أكثر من هذه المرة وأحسن بذلك أكثر منها (ألا ترون أنى أوفى الكيل) وان نقص الثمن (وأنا خير المنزلين) مع احتمال كونكم جواسيس فكيف اذا

خمسة أوجه السامد اللاهى والسامد الغنى والسامد الهائم والسامد الباكى والسامد

زال الاحتمال (فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى) لتحقق كونكم جواسيس فان لم أفعل بكم ما يفعل بالجواسيس فلا أقل من منع الكيل (ولا تقربون) اذا خاف من تقريبكم الى فكيف أحسن نزلكم حينئذ (قالوا سنراود) أى سنخادع (عنه أباه) هو وان لم ينخدع بخداع (انا لفاعلون) وجوها من الخداع حتى ينخدع (وقال) ترغيبا لهم ولابيهم فى ارسال الاخ (لفتيانه) أى عماله (اجعلوا بضاعتهم) وكانت نعالا وأدما (فى رحالهم) من غير ان يشعروا بذلك حتى انهم لا يشعرون بها فى الطريق ليرجعوا من اثنائها كراهة الجمع بين الثمن والمثمن بل (لعلهم يعرفونها) أى يعرفون وجه جعلها فى رحالهم (اذا انقلبوا الى أهلهم) عند فتح الرحال لاقبل ذلك وان ثقلت وانتفخت على خرق العادة لئلا يكون داعيا لهم الى الرجوع من اثناء الطريق (لعلهم يرجعون) الى لردها ولرؤيتهم مزيد احسانى اليهم فيكون لهم داعيا الى الاتيان بأخيهم من أبيهم اذ لا فائدة للرجوع الى بدون ذلك (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا) نادوه باسم الاب المضاف الى جميعهم ليترحم على الكل فيسمع ما اتفقوا عليه قدمنا على خير رجل قأكرمنا كرامة لا يكرمنا مثلها من كان من أولاد يعقوب وأعطى كل نفس حمل بعير ولكن لما جهزنا أعلمنا بأنا ما نعيون لذلك (منع منا الكيل) فى المستقبل مالم نأته بأخينا ليقرر مثل تقريرنا فيعرف من ذلك صدقنا (فأرسل معنا أخانا نكتل) أى نأخذ الكيل له ولنا فى كل مرة (وانا له لحافظون) أى مستمرون على حفظه فى المرات كلها (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أى هل يكون عاقبة أمنى اياكم على بنيامين الا مثل عاقبة أمنى اياكم على يوسف فلو كنت آمن فيه أحدا فهو الله (فالله خير حافظا) لقدرته على حفظه من جميع المكاره (و) لا مانع له من الحفظ اذ (هو أرحم الراحمين) فتغلب رحمته غضبه (و) لم يكتفوا على ذلك بل (لما فتحوا) رحالهم التى جعلوا فيها (متاعهم وجدوا بضاعتهم) التى جعلوها ثمن متاعهم (ردت اليهم) اذ ردها يوسف عليهم مع متاعهم (قالوا يا أبانا) غلبت شفقته علينا على شفقتك (ما نبغى) أى أى شئ نطلب وراء هذا الاحسان (هذه بضاعتنا) حصلت لنا مع الطعام اذ (ردت الينا ونمير) أى نحمل الطعام فى كل مرة فنعطيه (أهلنا) من غير الثمن (ونحفظ أخانا) لتحصيل الطعام فى كل مرة ان لم نحفظه لا مر آخر (ونزداد) بسببه (كيل بعير) اذ جعل لكل نفس حمل بعير فلو لم نرسله فالذى يعطينا (ذلك كيل يسير) لا يكفينا لانفسنا فكيف يكفى معه (قال) انه وان ضاق الامر علينا وعليكم (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) أى عهدا وثيقا صادرا (من) القلب الناظر الى (الله لتأتننى به) فى كل وقت (الا) وقت (أن يحاط بكم) أى تصيروا مغلوبين من كل وجه فوا ثقوه بذلك (فلما آتوه موثقهم) لم يعتمد عليهم بل (قال) أبوهم (الله على) اتمام (ما نقول وكيل و) مع توكله على الله لم ير تعطيل الاسباب وان لم تؤثر أصلا ولم تجر السنة الالهية بالفعل معها ولو نادر الذلك (قال يا بنى) مقتضى بنوتى ان لا تر واتعطيل الاسباب وان لم تؤثر أصلا ولم تجر

السنة

الحزين الخاشع (قوله عز وجل ساشجات) اى صائمات والسياحة فى هذه الامة الصوم (قوله عز

السنة الالهية بالفعل معها غالبا (لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) ولو على نهج التعاقب لانه حصل لكم شهرة تقتضي اجتماع الناس لرؤيتكم فتزدادون لها تجملا فأخاف عليكم العين واخاف عليكم التكبر والخيلاء فيهلك امادنياكم أودينكم (وادخلوا من ابواب متفرقة) وان كان موهما للتفرقة بينكم فانما نخاف من التفرقة الدينية لاغير (وما اغنى عنكم) اى لادفع بذلك (من الله من شئ) من الاهلاك الديني أوالدنيوي مما يتعلق بهذه الاسباب أو بغيرها اذلا حكم لي يعارض حكمه (ان الحكم الا لله) وغاية مايحتال معه التوكل عليه لذلك (عليه توكلت) في دفع الهلاك الديني والدنيوي عنكم (وعليه فليتوكل المتوكلون) لاعلى الحيل والاسباب فلا يوالوها من حيث ان لها أثرا اذليس لها ذلك (و) الله تعالى وان جرت سنته بالفعل عندها لابدونها باق على مشيئته فله ان يفعل بدونها وعلى خلاف مقتضاها ذلك (لما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) من الدخول من الابواب المتفرقة (ما كان) امتثالهم امره (يغني عنهم من الله من شئ) وان فروا عن أسباب الاهلاك مع التوكل على الله بل لم يفدهم شيأ (الا حاجة في نفس يعقوب) أى اعتقاده من ان الفرار من أسباب الهلاك واجب وكان تبليغ ذلك واجبا عليه فهو بأمره لهم بها (قضاها) لان ذلك مقتضى علمه بوجوبها وعلمه بفعل الله عندها ولو نادرا سيما في حق المتوكل عليه (وانه لذو علم) كامل لادخل للكسب فيه فانما حصل له (لما علمناه) فهو محترز عن أسباب الهلاك مع علمه بعدم تأثيرها لما علم من فعل الله عندها ولو نادرا فالاحتراز عن الهلاك النادر واجب كالغالب (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيتوهمون انه اعتبر تأثير الاسباب وناقض بذلك توكله (و) هذا الامتثال وان كان لم يغن عنهم من الله من شئ افادهم رفعة المنزلة عند أنبيائه وخلفائه المستلزمة للرفعة عند الله لذلك (لما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) فارتفع وارتفعت اخوته بتبعيته اذ أجلسه على مائدته حين اجلس كل اثنين على مائدة فبقي وحده يبكي على أخيه ثم أنزله بيته حين انزل كل اثنين بيتا وقال له أتحب ان أكون أخاك بدل أخيك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل (قال اني أنا أخوك) فازداد ارتفاعهم ثم رفع مايتوهم معارضة رفعتهم من قصده السوء بهم لاساءتهم به فقال اني عامل بمقتضى الاخوة معك ومعهم (فلا تبتئس) أى فلا تحزن من خوف الخزي على مجازاتهم (بما كانوا يعملون) فان اعمالهم التي بلغتناهذه الرفعة فلا يكون جزاؤهم سوى الرفع الى أعلى المراتب وهو وان أمنه واخوته من الخزي أوقعه واياهم فيه بمشورته اذ قال ليوسف لا افارقك قال لا يتأتى ذلك الا بعد ان أشهر لك بأمر فظيع لا تحتمله قال لا ابالي (فلما جهزهم بجهازهم) أى سيرهم بعدة سفرهم بحيث لم يبق منها شئ يرجعون اليه لاجله (جعل) لاسترجاعهم وامساك أخيه (السقاية) أى مشربة الملك من ذهب مرصع بالجواهر جعلت صاعا يكال به الطعام اعزازا له (في رحل أخيه) أى جعلها متاعه (ثم) بعد ماساروا منزلا (أذن مؤذن) أى نادى منادى نكره اذلا غرض في تعريفه وذكره لئلا

وجل سنسمه على الخرطوم
اى سنجعل له سمة اهل النار
اى يسود وجهه وان كان
الخرطوم وهو الانف قد
خص بالسمة فانه في مذهب

يتوهم عوده الى يوسف (أيتها العير) أى يا راكبى الابل أو الحمير التى تعير أى تجىء وتذهب (انكم لسارقون) أى ان فيكم سارقا يسرى خزيه جميع من فى صحبته واقاربه كانهم سارقون وهو من المعاريض لانهم سرقوا يوسف حين القوه فى البئر وباعوه (قالوا) لم يكن قولهم حال ادبارهم على قصد ان يفروا بل قد (أقبلوا عليهم) اى على المؤذن واصحابه وان كان هو واصحابه بحيث لا يقاومونهم سائلين لهم (ماذا تفقدون) من الشئ العظيم الذى تنسب سرقته الى أمثالنا (قالوا نفقد صواع الملك) فانه وان كان هينا بكونه صواعا عظم لنسبته الى الملك مع انه كان سقايته من ذهب مرصع بالجواهر (و) لعظمته الجعل (لمن جاء به حمل بعير) من الطعام فى ايام الغلاء (و) هو وان كان على الملك يعسر مطالبته (انا به زعيم) اى ضامن (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم) مما لاح لكم من دلائل صلاحنا واماناتنا الموجبة تعظيمكم ايانا (ما جئنا لنفسد فى الارض) بوجه من الوجوه (و) على الخصوص (ما كنا سارقين) فى زمن من الازمنة (قالوا) أى المؤذن واصحابه ان كان فيكم السارق (فما جزاؤه) بل فما جزاء كذبكم (ان كنتم كاذبين) فى دعوى البراءة (قالوا جزاؤه) اى جزاء السارق وهو (من وجد فى رحله) وان زعم انه اعطاه غيره أو دسه فى رحله من غير شعور منه (فهو) أى استرقاقه سنة (جزاؤه) كانه صار جزاء نفسه وذلك لانه لا يختص هذا بالسارق الحقيقى بل (كذلك نجزى الظالمين) فاخذ المؤذن فى التفتيش (فبدأ بأوعيتهم) أى بتفتيش أوعية غيره حتى فتشها جميعا (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) اذ لو بدأ به لقيل انه الذى أدرجها فيه (ثم استخرجها من وعاء أخيه) وان كان فيه خزيه من اضافته اليه وليس هذا كيدا مذموما لانه (كذلك) اى مثل ما كاد يوسف لامساك أخيه كاد اخوة يوسف لتغييبه وان كان نافعا له بحيث يتسبب لينا فيقال (كدنا ليوسف) اذ القاه اخوته فى الجب وباعوه وجعلته امرأة العزيز فى السجن وانما ترك فى حق اخيه قاعدة الملك تضمين السارق مثلى ما سرق لانه (ما كان ليأخذ اخاه) بحيث لا يفارقه اصلا لو عامله بما (فى دين الملك) كيف وفيه تسوية بينه وبين سائر الناس فلا يفعله (الا ان يشاء الله) التسوية بينهم لكن (نرفع درجات من نشاء) فنميزه من سائر الناس ولو بالتشديد على نفسه ومزيد الخزى فى حقه باسترقاقه سنة وانما أراد رفع درجة أخيه بهذا التميز لما رفع الله درجته بالعلم وقد علم ان الحر يستحق من الحدود والتعزير فوق ما يستحقه العبد وهذا بحسب ظاهره ما نسب اليه من السرقة وبحسب الباطن قصدا مسا كملزيد التلطف به وهذا من مزيد علمه به (وفوق كل ذى علم عليم) مالم ينته الامر الى الله الذى لا يتنكر علمه (قالوا) لرفع الخزى عن أنفسهم (ان يسرق) بفيامين اورد لفظ الشك لاحتمال دسها فى رحله من غير شعور منه كما فعل ببضاعتهم فليست هذه السرقة مما أخذها منا حتى يلحقنا الخزى بل من أخيه الهالك (فقد سرق اخ له) نكروه تحقيرا له بكونه فكرة لا يتعرف وسرقته خبأوه وطعام المائدة للفقراء (من قبل) فتعلمها منه (فأسرها) اى تلك الكلمة المراد بها (يوسف فى نفسه) فانه هو

الوجه لان بعض الوجه يؤدى عن بعض (قوله سبحانه) سبحانه ويتعالى عن ان يتصرف فيما تريد بقول لك متصرف فيما تريد بقول لك فى النهار ما تقضى حوائجك

(ولم يبدها) أى لم يظهرها (لهم) لاقولا ولافعلا وان (قال) لهم (أنتم شر مكانا) أى مرتبة فى السرقة لانه قصد بها الخير وانتم قصدتم بسرقة يوسف الشر وان افضى الى الخير (والله اعلم بما تصفون) به انفسكم من البراءة هل حصلت بعد ذلك ام لا ثم لما أيسوا له الخلاص من الحزى بقوله انتم شر مكانا احتالوا لقطعه لو لم ينقلع من اصله حتى (قالوا يا أيها العزيز) مقتضى عزتك ان يستوى عندك امساكه واطلاقه مع ان الاولى اطلاقه لما فيه من رعاية أبيه الذى هو أولى بالرعاية من السياسة (ان له أبا) كانه يختص ابوته به لمزيد شفقته عليه وكيف لا يكون اولى بالرعاية مع كونه (شيخا كبيرا) فى العلم والديانة فان راعيت مع ذلك السياسة (فخذ أحدنا) بدله لتجعله (مكانه) وكأنه لما لم يسع المكان الواحد اثنين كان محل تبدلهما فاطاق على تبدلهما وليس اخذه ظلما عليه لانه لما كان برضاه وشفاعة الباقين لمزيد اعتناء أبيه كان به احسانا على الباقين وعلى ابيهم (انا نراك) بهذا الفعل (من المحسنين قال) كيف اكون محسنا بترك حد الله على السارق ونقله الى البرىء بل التزمت (معاذ الله) اى موضع الاستجارة منه من (ان نأخذ) فى جزاء السرقة الذى هو حدها احدا (الا من وجدنا متاعنا عنده) فانه وان لم يكن دليلا قطعيا على سرقته يجب العمل بها لافادته الظن بحيث يكون تارك العمل به ظلما (انا اذا لظالمون) ولم يزالوا يطلبونه بحيل حتى أيسوا كانهم طلبوا اليأس منه (فلما استيأسوا منه خلصوا) من توهم تخليصهم منه حال كون كل واحد منهم (نجيا) اى مشيرا الى صاحبه فى خلاص نفسه عن لوم ابيه (قال كبيرهم) فى العقل لاخلاص من لوم الاب (ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا) اى عهدا وثيقا صادرا (من) القاب الناظر الى (الله و) لم تعلموا ما حدث منكم عليه فالوم مستمر (من قبل) وهو (ما فرطتم) أى قصرتم (فى) ايصال (يوسف) الى ابيكم بعدما استأمنكم (فلن أبرح الارض) اى لن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) بمفارقتها فيترك الميثاق (أو يحكم الله لى) بتخليص اخى (وهو خير الحاكمين) فى التخليص من الحبس ولكن ملازمة الجميع بأرض مصر أشد على أبيكم (ارجعوا الى ابيكم) تخفيفا للامر عليه مع الاكتفاء بوفاء كبيركم بميثاقه (فقولوا يا أبانا) لاتغضب علينا ان لم تنظر الينا بعين المحبة لم تنقض ميثاقك فى اتيان ابنك بل لم يمكننا اتيانه لان العزيز أخذه (ان ابنك سرق) صواع الملك فامسكه العزيز وما لنا معه قوة ولا حيلة (وما شهدنا) على ابنك بالسرقة (الا بما علمنا) من رؤية اخراج الصواع من رحله (و) نحن وان الزمنا حفظه (ما كنا للغيب) أى لما غاب عنا من سرقته (حافظين واسئل القرية) أى أهلها (التى كنا فيها) بارسال من يعتمد عليه اليها فانها مشتهرة فيها (و) ان لم يمكنك الارسال اليها اسأل (العير) أى ركبها (التى أقبلنا فيها) فانهم سمعوا أهل تلك القرية (و) لو لم تسأل ظهر لك أيضا صدقنا (انا لصادقون) لملازمة بعض الاخوة تلك الارض وفاء لميثاقك (قال) ما أمسك بتلك السرقة (بل) باظهاركم حكم الامساك فى

وقرئت سخنا بالخاء المعجمة اى سعة يقال سخى قطنك أى وسعه ونفشه والتسبيح التخفيف ايضا

دينا اذ (سولت لكم أنفسكم أمرا) بأن لكم دينا أكمل من دين الملك فأظهرتموه لمن لم يلتزمه ليضروكم فاذا وقع مثله (فصبر جميل) فكيف لا يحتمل مع ان الامر اذا بلغ غاية الشدة يرجى الفرج والصبر مفتاح الفرج (عسى الله ان يأتيني بهم) أى بيوسف وأخيه والابن الكبير (جميعا) فيذهب احزانهم بمرة واحدة (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تشديد الامر لينظر مقدار الصبر فيفيض بقدره الاجر ومن الاجر المعجل تعجيل الفرج فعل يوسف هذه الامور مع مافيها فى الظاهر من العقوق وقطع الرحم لكنه نظر الى العواقب الباطنة وقد قصد بها قماع الحزن على اخوته تخفيف عتاب الله عنهم بعد عفوه (و) لما اختار الصبر (تولى) أى أعرض (عنهم) لان مقاولتهم ربما توقعه فى الشكوى اليهم (و) لكن ذهب بذلك تسليته حتى (قال يا اسفى) وهو شدة الحزن والحسرة فاداه لكونه كالطالب لذهاب تسليته (على يوسف) ولم يلتفت الى اخويه لعلمه بحالهما دونه (و) قد بلغ أسفه الى حيث (ابيضت عيناه) بذهاب سوادهما من خروج الماء الذى به السواد والبصر (من الحزن) السابق على التولى واللاحق وكان لا يبصر ست سنين من الحزن السابق فاذا انضم هذا الاسف الى ذلك الحزن (فهو كظيم) اى ممتلئ من الحزن بحيث ضاق عليه النفس (قالوا تالله) عجبا من دوام الصبر مع انك لا (تفتؤ) اى لا تزال (تذكر يوسف) باللسان والقلب فتزداد أسفا عليه (حتى تكون حرضا) اى دنف الجسم مخبول العقل (او تكون) ميتا (من الهالكين) بالكلية (قال) هذا الحزن والذكر لا ينافى الصبر لانه ترك الشكوى الى الخلق وانما (انما أشكو بثى) ما انتشر على اللسان من صعوبة الحزن الذى لا يمكن اخفاؤه (وحزنى) الذى اخفيته (الى الله) ليزيل عنى الشكوى ويرحمنى (واعلم من الله) لمن شكا اليه من ازالة الشكوى ومزيد الرحمة (مالا تعلمون) مما يوجب حسن الظن به وهو مع ظن عبده به فليس ذكرى ليوسف لأن أكون حرضا أو هالكا ولما علم من شدة البلاء مع الصبر قرب الفرج قوى رجاءهم فقال لهم (يا بنى اذهبوا) لطلب يوسف وأخيه (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى اطلبوا بحس السمع قصتهما وبحس البصر مكانهما وبحسن الشم روائحهما وفى الحاق الاخ بيوسف اشارة الى تقوية رجائهم من كونهما عند الله سواء (ولا تيأسوا) بعد امر يوسف والجهل بمكانه (من روح الله) اى رحمته المريحة من الشدة (انه لا ييأس من روح الله) لم يقل منه ليشير الى ظهور حصوله لمن لم ييأس ولم يقل من روحه ليدل على انه مقتضى جبلته (الا القوم الكافرون) بقدرته على افاضة الروح بعد مضى مدة فى الشدة وسنته فى افاضة اليسر مع العسر سيما فى حق من أحسن الظن به ثم ان أباهم وان أرسلهم للتحسس من يوسف وأخيه لم يذهبوا لذلك بل انما ذهبوا لطلب الطعام (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) مقتضى عزتك اعزاز الواردين عليك سيما من ذل من اعزتهم ومن ذلنا انه قد (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة والفقر والجوع (و) يدل عليه بضاعتنا اذ (جئنا ببضاعة مزجاة) يدفعها السوق لرداءتها قيل

يقال اللهم سج عنه الحمى اى خفف (قوله عز وجل) سأرهقه صعودا اى سأغشيه مشقة من العذاب

كانت صوفا واقطا وقيل سويق المقل وقيل الادام النعال قيل خلق الغرائر والحبال وقيل حبة الخضراء فاذا تحقق ذلتنا بفقر فامع عزتك وغناك (فأوف لنا الكيل) توفيتك لاهل البضاعة المرغوبة (وتصدق علينا) باعطاء الطعام فى مقابلة مالا يعد عوضا (ان الله يجزى المتصدقين) فيعطيهم فى الآخرة ماهو خير من العوض الدنيوى (قال) يوسف تريدون دفع الضرر العاجل بوعد الاجر الآجل ولا تدفعون عن أنفسكم الضرر الآجل كأنكم تنكرونه (هل علمتم) ضرر (مافعلتم بيوسف) من القائه فى الجب وبيعه بثمن بخس وغيرهما (وأخيه) من التفريق بينه وبين أخيه وايذائه كلما ذكر أخاه (اذ أنتم جاهلون) بضر رتلك الافعال فى الدارين (قالوا) هذا لا يعلمه الا يوسف أو من سمع منه لكن رؤياه تقتضى انه هو (أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف) الذى فعلتم به مافعلتم مع ماتشاهدون من افعالى بكم (وهذا) الذى توهمتم انى أمسكته استرقاقا (أخى) أمسكته محبة فحسد مقصود يعقوب من الامر بالتحسس وان لم تقصدوه (قد من الله علينا) على بالسلامة من غوائلكم وبالجمع بينى وبين أخى واعطاء العلم والملك وعليكم بتبديل قصدكم الشر الى الخير لكن منته على أعظم من منته عليكم اذ وقانى من الزنا وصبرنى على السجن بتركه حتى صرت محسنا مستحقا لهذا الاجر الدنيوى مع أجر الآخرة (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا) من افراط تعجبهم بحاله (تالله لقد آثرك الله) أى اختارك (علينا) اذ أعطاك التقوى والصبر والعلم والملك حتى تذللنا لك بعد اذ لا لنا اياك وكفى بذلك أجرا دنيويا والاعلى الاخروى (وان كنا) أى وانا كنا فى اذلالنا اياك (لخاطئين) اذ أوصلناك الى غاية العزة وبقى الاثم علينا وكفى به دليلا على ايثارك علينا (قال لا تثريب) أى لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع (عليكم اليوم) وان كنتم ملومين قبل ظهور منتهى فعلكم ولا اثم عليكم اذ (يغفر الله لكم) حقى لرضاى عنكم (و) حقه اذ (هو أرحم الراحمين) فكأنه لا خطأ منكم على ان ايثار الله اياى موجب لرحمته عليكم كما انه يرحم أبى بوصول قميصى اليه فيرد عليه بصره (اذهبوا) أمر الجميع بطريق فرض الكفاية الساقط بفعل البعض (بقميصى) الذى يحمل رائحتى ونورى (هذا) الذى جاء به جبريل من الجنة فيه روحها ونورها الى ابراهيم حين ألقى فى النار ليقيه حرها وكان من خواصه انه اذا ألقى على مريض شفى (فالقوه على وجه أبى) ليتروح ويستنير بما فيه من روحى ونورى مع روح الجنة ونورها (يأت) أى يأتنى (بصيرا) يحصل له من النور المعنوى النور الحسى (و) لا تفرقوا بينه وبين سائر أهله لينقص ذلك من بصره شيأ بل (اتونى بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير) أى ولما قطعت الركب عريش مصر (قال أبوهم) لاشتياقه الى لقاء أولاده سيما يوسف وانتظاره لروح الله (انى لأجد ريح يوسف) حملته ريح الصبا من مسيرة ثمانين يوما أى يظهر لكم (لولا أن تفندون) أى تنسبونى الى الخرف وضعف الرأى (قالوا تالله) لا ريح ههنا لكن لافراط حبك يوسف تخيل ريحه (انك لفى ضلالك)

والصعود العقبة الشاقة
(قوله عز وجل سلككم) (أى أدخلكم فيها فى سقر) (قوله عز وجل سلسبيلا) أى سلسة لينة سائغة (قوله

أى تحيرك (القديم) ولم يزل يستزيد رؤيته قوى به قوى رأسه الى حين وصول حامل القميص (فلما) تم استراحه (أن جاء البشير) أى المخبر بما يسره من أمر يوسف وهو يهوذا ليفرحه بدل ما أحزنه بمجيء قميصه بدم كذب وانه أكله الذئب (ألقاه على وجهه) المستروح به ليصل اليه نوره بعد ما وصل اليه روحه (فارتد بصيرا) بما ذكرنا (قال) للقائلين انك لفى ضلالك القديم (ألم أقل لكم انى أعلم من الله) من قدرته على ايصال الروح ورد البصر المعدوم الدال على رد الغائب بطريق الاولى ورحمته وروحه (مالا تعلمون) وقد وجدت مقدمة ذلك فكذبتمونى ونسبتمونى الى الخرف وضعف الرأى (قالوا يا أبانا) انا أخطأنا بنسبة الضلال القديم اليك وبما فعلنا فى يوسف لكنا نعلم انك تعفو عنا ولكن لا يذهب بذلك حق الله (استغفر) الله (لنا ذنوبنا) التى بيننا وبينه (انا كنا خاطئين) فيها وان أدت الى الخير (قال سوف أستغفر لكم ربى) وقت السحر وقيل ليلة الجمعة وكان يستغفر لهم كل ليلة جمعة سبعا وعشرين سنة وقيل سحر ليلة الجمعة ليلة عاشوراء (انه هو الغفور) لمثل هذه الكبائر (الرحيم) بأربابها وصرحوا بالذنوب دون الله لمزيد اهتمامهم بها كأنهم لا يرون الله جامعا لصفات الرحمة وضدها اذ غلب عليهم النظر الى قهره وصرح بذكر الرب دون الذنوب اذ لا مقدار لها بالنظر الى رحمته التى ربى بها الكل وهم وان غفر لهم ورحموا لم يحصل لهم من القرب منه الموجب للقرب من الله ما حصل لابويه (فلما دخلوا على يوسف) حين سار وا الى مصر فاستقبلهم الى بريته مع الملك الوليد بن الريان (آوى) أى ضم (اليه أبويه) يعنى أباه وخالته ليعانقهما بمقتضى مزيد شوقه اليهما لبعد عهدهما عنه ومزيد قربهما من قلبه (و) لكن من أثر الغفران والرحمة لم يعدهم بالكلية بل (قال) لهم (ادخلوا مصر) ولما مكر معهم فى المرة الاولى مع تعظيمهم قال لهم الآن (ان شاء الله آمنين) من مكرى ومؤاخذتى اياكم على ما فعلتم بعدما وقعتم بيدى ومن الاهانة (و) لكن مع ذلك (رفع أبويه) حين دخلوا مصر وهنالك عرشه (على العرش و) لكنهما شاركا الاخوة فى ذلك للهم الاختيارى اذ (خروا له سجدا) على نهج التكرمة وكان جائزا ثم نسخ حين اتخذوا من دون الله أربابا وليس المراد الانحناء لان الخرور تعفير الجباه وليس لله لقوله له (وقال يا أبت) لست فى مكان التذلل وكذا اخوتى ولكن (هذا تأويل رؤياى) سجود احد عشر كوكبا والشمس والقمر وان كانت (من قبل) باثنين وعشرين أو خمس أو ست وثلاثين أو أربعين أو سبعين أو ثمانين سنة (قد جعلها ربى) من حسن تربيته اياى بعدما كانت سببا تلافى فى الظاهر (حقا) مطابقا للواقع فى الحس (و) هو وان أهانى حين أخرجنى من الجب بالعبودية (قد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن) فجعل الملك مطيعا لى مؤمنا بى مفوضا الى خزائن الارض وقد كان كله بسبب تلك العبودية بعد الالقاء فى الجب حتى انتهى به الى هذه الحالة التى صدق فيها رؤياى (و) قد أحسن بى و بكم اذ (جاء بكم من البدو) اذ زال العداوة التى كانت بينى و بينكم (من بعد ان نزغ) أى افسد (الشيطان) فأوقع العداوة

تعالى ساهرة) يعنى وجه الارض وسميت ساهرة لان فيها سهرهم ونومهم واصلها مسهورة ومسهور فيها

(بيني وبين اخوتي) فقصدوا اهلاكي فجعله الله سبب وصولي الى هذه المراتب (ان ربي لطيف) أي خفي التدبير (لما يشاء) من الخير بأسباب الشر وبالعكس (انه هو العليم) بخفايا الاسباب (الحكيم) في ترتيب الامور على الاسباب الظاهرة تارة والخفية أخرى (رب) اي يا من ربائي بلطف التربية (قد آتيتني) به (من الملك) الذي ظاهره ان يكون من اسباب الفساد مع صلاحية كونه من أسباب الكمال الحقيقي (و) قد جعلت لي ما تجعله من أسباب الكمال الحقيقي اذ (علمتني من تأويل الاحاديث) فيسهل عليك ان تعلمني معاني المحسوسات التي تظهر صورها في الآخرة فان لم يكن في ذلك فلا يتعسر عليك لكونك (فاطر السموات والارض) ولا يبعد عليك الجمع بين الامرين في حقي اذ (أنت ولي في الدنيا والآخرة) وانما يخاف من الدنيا ان تصير حجابا ويرفعه الاسلام والصلاح (توفني مسلما والحقني بالصالحين) وهو وان كان نبيا فلا يأمن من مكر الله سيما وقد حصل له الملك الذي مكر به على الجمهور (ذلك) النبأ البعيد درجة كماله في جميع ما لا يتناهى من المحاسن والاسرار حتى صار معجزا (من أنباء الغيب) الذي غاب عنك وعن جالستهم وعن الكهنة والمنجمين فهو مما (نوحيه) من مقام عظمتنا شيأ بعد شيء باعتبار عدم تناهي ما فيه (اليك) أيها الخير في نفسه الداعي الى الخيرات في العموم فيدل خوارقك على صدقك وكيف لا يكون غيبا وما سمعته من احد (وما كنت لديهم) اي عند اصحاب هذا النبأ (اذ اجمعوا) اي عزموا (امرهم) اخوة يوسف على القائه في الجب وزليخا على فعلها ويوسف على امساك اخيه (و) لو كنت لديهم ما اطلعت على امرهم اذ (هم يمكرون) اخوة يوسف على اخراجه من ابيه وفلطخ قميصه وبكائهم وزليخا في سجنه ويوسف في تهمة اخيه بالسرقة وانما أوحي اليك هذا المعجز ليؤمن بك الناس فيسعدوا على الابد (و) لكن (ما أكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم واسعادهم بتكثر الدلائل والمعجزات (بمؤمنين) وان علموا أن فيه سعادتهم الابدية (و) لا ينقص من سعادتهم الدنيوية اما المال فلانك (ما تسئلهم عليه من اجر) واما الجاه فلان الايمان مانع من الرق والجزية في الدنيا والعذاب في الآخرة (ان هو الا ذكر) أي ما هو الا شرف (للعالمين) ولتحصيل الشرف والسعادة لهم كثر آياته في السموات والارض (و) لكن (لا يتظرون في ذلك اذ (كاين من آية) أي كم آية (في السموات والارض) مما يدل على وجود الصانع وصفات كماله واسمائه وافعاله (يمرون عليها) مرورا يتيسر النظر معه (وهم عنها معرضون و) ان التفتوا الى شيء منها فآمنوا لكن (ما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) به بعض آياته باعتقادهم ان له تأثيرا وانه يستحق العبادة لظهوره بالالهية فيه (ا) لا يبالون بهذا الاشراك (فامنوا ان تأتيهم غاشية) أي نقمة تحيط بهم (من عذاب الله) بدل سعادتهم بتوحيده (أو) أمنوا اتيانهم في الدنيا مع من آمن ان (تأتيهم الساعة) فان زعموا انها مشروطة بسبق اشراطها فهل أمنوا اتيانها (بغتة) أو أمنوا وقوعها بعد اشراطها (وهم لا يشعرون) بكونها اشراطها فان زعموا ان اخفاءها يكون

(قوله عزوجل سفرة) يعني فصرف من مفعوله الى فاعله كما قيل عيشة راضية أي مرضية ويقال الساهرة أرض القيامة

لهم عذرا (قل) انما يكون عذرا لو لم يكن لكم سبيل الى معرفتها لكن (هذه) الدلائل (سبيلي) الى تعريفها اذ (ادعو) الناس من دلائلها على توجيه ثوابها وتخويف عذابها (الى الله) المثيب المعاقب فيها الا بالانتقال مما خلا عنه الى ما أحاط به بل بالكون (على بصيرة) فيه بعد العمى عنه ولا يختص بي حتى لا يكون حجة اذا كون عليها (أنا ومن اتبعني) ورؤية الكثير حجة على العمى (و) لا مانع من اتباعي في ذلك اذ لا ادعي الالهية بنفسي بهذه البصيرة من تجليه لقلبي بل أقول (سبحان الله) من ان يظهر بالالهية في شئ والا كان المظهر شريكه (وما أنا من المشركين و) لا يشترط فيها التجلي المفضي الى دعوى الالهية فانه (ما أرسلنا) للدعوة الينا (من قبلك الا رجالا) لم يخرجوا من الانسانية الى دعوى الالهية بل غاية كمالهم انه (نوحي اليهم) ولم يشترط فيهم الاعتزال عن الناس بل كانوا (من أهل القرى أ) ينكرون رسالتهم مع دلالة اهلاك منكريها لعدم رؤيتهم قراهم (فلم يسيروا في الارض) التي ارسلوا فيها فانكر عليهم أهلها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا عليهم (من قبلهم) فهي دليل صدقهم ولا يبطل هذه الدلالة حصول مثلها للبعض المتقين تكميلا لثوابهم وتعريضا للخير عن الادنى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أ) لا يميزون بين ما يترتب على التقوى مما يترتب على التكذيب (فلا تعقلون) كيف وانما أهلكوا عند ما بالغوا في الانكار (حتى اذا استيأس الرسل) أي طلبوا منهم اليأس عن ايمانهم بتكثير الدلائل عليهم (و) لا أقل من ان (ظنوا انهم قد كذبوا) أي مضى بحيث لا يرجى عودهم الى التصديق (جاءهم نصرنا) بالانتقام من اعدائهم فان كان فيهم متقون (فنجي من نشاء) منهم ليدل على التمييز ولا يعم الانجاء لئلا يفضي الى الالجاء (و) لكن لا يبطل به التمييز اذ (لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) حتى انه يصيب من خرج عن مكانهم فان زعموا ان الاقتصاص ليس من الدعوة في شئ قيل لهم (لقد كان في قصصهم) ما يؤثر فيها اذ فيه (عبرة لاولي الالباب) اي الناظرين الى لبها وانما ينافي العبرة كذبها لكن (ما كان) المعجز (حديثا يفترى ولكن) يكون مع صدقه في نفسه (تصديق الذي بين يديه) من الكتب التي لا اعجاز فيها (و) ان زاد عليها كان (تفصيل كل شئ) اجمل فيها (و) ان لم يكن فيها اصلا كان (هدى) يزيد قوة نظرية (ورحمة) يزيد قوة عملية (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فيه ويعملون بمقتضاه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

الملائكة الذين يسفرون بين الله وبين أنبيائه واحدهم سافر يقال سفرت بين القوم اذا مشيت بينهم بالصلح فجعلت الملائكة

(سورة الرعد)

سميت بها لما فيها من قوله عز وجل ويسبح الرعد بحمده الدال على الصفات السلبية والثبوتية مع الاخبار عن الامور الملكوتية ومع كون الرعد جامعا للتخويف والترجية وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بجميعيته في آياته كتابه حتى اتصفت بالكمالات الآتي ذكرها (الرحمن) بجعل كل كتاب بقدر استعداد المنزل عليهم (الرحيم) بانزال هذا الكتاب الجامع

كمالات